معاني النحو
على ضوء نظرية النظم
لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ 1078م)
من خلال كتابه "دلائل الإعجاز"

الدكتور/ صالح غريبي
أستاذ مساعد مكلف بالدروس
قسم الآداب و اللغة العربية المركز الجامعي تبسة

الملخص

النظم: هو توخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يساق لها الكلام

The composition: he is intending the helped manner between the wound according to the purposes which the talk have fun

La composition : il prévoit la façon aidée entre la blessure selon les buts que l'entretien ont l'amusement

إن العمود الأساس الذي بنيت عليه نظرية النظم هو معاني النحو، وسأنقل بعض ما ذكره الجرجاني عن معاني النحو ليتبين أنها المحور الذي تدور عليه نظرية النظم.

قال الجرجاني:" وكنا قد علمنا أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم وأنا إن بقينا الدهر نجهد أفكارنا حتى نعلم للكلم المفردة سلكا ينظمها وجامعا يجمع شملها ويؤلفها ويجعل بعضها بسبب من بعض غير توخي معاني النحو وأحكامه فيها طلبنا ما كل محال دونه"[1]. وقال أيضا: "فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه"[2].

وقال: لمن يبحث عن دليل إعجاز القرآن الكريم بأن الإعجاز في نظمه وليس النظم غير توخي معاني النحو: "فإذا ثبت الآن أن لاشك ولا مرية في أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم، ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه ولم يعلم أنها معدنه و معانه[3] وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواها، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها غار نفسه بالكاذب من الطمع ومسلم لها إلى الخدع"[4]

أما الأعمدة الأخرى التي بنيت عليها نظرية النظم فقد عبرت عنها المصطلحات الآتية:

1- التعليـــــــــق
2- الترتيـــــــــب
3- البنـــــــــاء
4- الوجوه والفروق

وسأنقل هنا بعض ما ذكره الجرجاني عن هذه المصطلحات: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"[5]. "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"[6].

"وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها"[7]

ماذا يقصد الجرجاني بمعاني النحو وكيف يتم الكشف عنها؟

يقصد الجرجاني بمعاني النحو: المعاني ذات الدلالات العقلية، بمعنى المعاني الذهنية التي تتولد في فكر المتكلم عند نظم الكلام تلك المعاني التي تنشأ من تحديد العلاقات بين الأشياء المعبر عنها بالكلم، فتربطها ببعضها كما يربط السلك الشفاف حبات العقد، لذلك يصبح الكلام نوعا من الهذيان في حالة فقدانها"[8]. وقد أشار الجرجاني إلى ذلك بقوله: "واعلم أنك تجد هؤلاء الذين يشكون فيما قلناه تجري على ألسنتهم ألفاظ وعبارات لا يصح لها معنى سوى توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم، ثم تراهم لا يعلمون ذلك.

فمن ذلك ما يقوله الناس قاطبة من أن العاقل يرتب في نفسه ما يريد أن يتكلم به، وإذا رجعنا إلى أنفسنا لم نجد لذلك معنى سوى أن يقصد إلى قولك (ضرب) فيجعله خبرا عن (زيد) ويجعل الضرب الذي أخبر بوقوعه منه واقعا على (عمرو) ويجعل (يوم الجمعة) زمانه الذي وقع فيه، ويجعل (التأديب) غرضه الذي فعل الضرب من أجله فيقول: (ضرب زيد عمروا يوم الجمعة تأديبا له). وهذا كما ترى هو توخي معاني النحو فيما بين معاني هذه الكلم. ولو أنك فرضت أن لا تتوخى في (ضرب) أن تجعله خبرا عن (زيد)، وفي عمرو أن تجعله مفعولا به لضرب، وفي يوم الجمعة أن تجعله زمانا لهذا الضرب، وفي التأديب أن تجعله غرض زيد من فعل الضرب، ما تصور في عقل ولا وقع في وهم أن تكون مرتبا لهذه الكلم، وإذ قد عرفت ذلك فهو العبرة في الكلام كله، ظن ظنا يؤدي إلى خلافه ظن ما يخرج به عن المعقول [9].

ولما كانت الجملة "وحدة الكلام الصغرى والمركب الذي يحمل في ثناياه فكرة تامة"[10] لذلك فإننا إذا أردنا أن نكشف عن معاني النحو التي تتألف منها الجملة لابد من معرفة المعاني الذهنية التي تتألف منها الفكرة وهذا يطلب التوغل في الذهن لكي تتحسس ما يجري في الذهن عند نظم الجمل وهذا ما أشار إليه الجرجاني حين قال في (ضرب زيد) أن (ضرب) خبر عن (زيد) أي أن معنى الفعل أن يكون (خبرا) عن الفاعل ومعنى الفاعل أن يكون (مخبرا عنه) بالفعل. وهذا يظهر ارتباط التفكير باللغة. فالسامع يستطيع أن يفهم قصد المتكلم عن طريق إدراك تلك الدلالات العقلية التي يشير إليها نظم الكلمات وترتيبها [11].

ويؤكد الجرجاني أن أجزاء الكلام تتحد بالنظم مع بعضها وتصبح وضعا واحدا كالبناء، فيقول: "واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا وأن يكون حالك فيها حال الباني، يضع بيمينه ها هنا في حال ما يضع بيساره هناك، نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين. وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة..."[12]

وأشار الجرجاني إلى أن المفهوم من مجموع الكلم المرتبطة ببعضها بالنظم هو معنى واحد لا عدة معان وهذا المعنى الواحد هو ما يقصد إليه المتكلم من كلامه فقال: واعلم أن مثل

واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة، فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة، وذلك أنك إذا قلت: ضرب زيد عمروا يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان، كما يتوهمه الناس وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها. وإذا كان ذلك كذلك بان منه وثبت أن المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد لا عدة معان، وهو إثباتك زيدا فاعلا ضربا لعمرو في وقت كذا، وعلى صفة كذا، ولغرض كذا ولهذا المعنى نقول، إنه كلام واحد، وإذ قد عرفت هذا فهو العبرة أبدا"[13]

وهذا يعني أن اللغة هي نظام لربط الكلمات بعضها ببعض، ويقوم ذلك النظام اللغوي[14] على ربط الكلمات ببعضها ليس كما اتفق بل وفقا لمقتضيات دلالاتها العقلية.

وأشار الجرجاني إلى ذلك بقوله: "ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[15]. فاللغة إذن نظام لربط الكلم ببعضها وفقا لمقتضيات دلالاتها العقلية وبفضل ذلك النظام تتمكن اللغة من القيام بوظيفتها الأساسية كوسيلة لاتصال الناس ببعضهم، وقد أشار الجرجاني إلى وظيفة اللغة بقوله: "مما يعلم ببدائه العقول أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده"[16]. وبهذا يكون عبد القاهر الجرجاني أول عالم لغوي يشير إلى أن معنى الكلمات لا يعرف إلا من ضمها إلى بعضها سواء قلنا إن أصل اللغة إلهام أو إن أصلها مواضعة وانطلاقا من تلك الفكرة أشار الجرجاني في المدخل إلى "دلائل الإعجاز" إلى أن الكلام لابد أن يشتمل على جزأين حين قال "ومختصر كل الأمر أنه لا يكون كلام من جزء واحد وأنه لابد من مسند ومسند إليه"[17] وهذا يعني أن الجملة بعد أن يبنى عليها أي بعد أن يضاف إليها كلمات تزيد على جزأي الجملة في أبسط صيغة لهما يتغير معناها في ذاته، لأن المفهوم من مجموع الكلمات المرتبطة ببعضها بالنظم هو معنى واحد لا عدة معان"[18].

فمعاني النحو إذن هي معان ذهنية ينجزها المتكلم عند نظم الجملة تربط بين الكلم، وتحدد العلاقات فيما بينها، ففي الفكر يتم انجاز (المعاني الذهنية) وفي النظم هي (معاني النحو) وفي الفكر يتم تحديد العلاقات بين الأشياء وفي النظم هو تعليق الكلم بعضها ببعض وبناء بعضها على بعض وجعل هذه بسبب من تلك.

وبعد التفكير العميق في كل ما قاله عبد القاهر الجرجاني اكتشفنا ما يأتي:

هناك نوعان من الجمل:

1- النوع الأول:

الجمل التي تمر في ذهن المتكلم بمرحلتين عند نظمها وهي (الجمل الخبرية المثبتة)

المرحلة الأولى: وهي مرحلة تحديد العلاقات بين الأشياء، أي تحديد المعاني الذهنية المسماة بـــ (معاني النحو)

المرحلة الثانية: وهي مرحلة تحديد الألفاظ المناسبة.

ولتوضيح النوع الأول من الجمل نحاول أن نفكر ونتحسس ما يجري في الذهن عند النطق بجملة (**أفلح المؤمن**).

نحس **أولا** أن الفكرة نشأت وهي أننا نريد أن نسند شيئا إلى شيء، فالإسناد[19] في هذه الجملة أول عملية ذهنية تنشأ بومضة من ومضات ذهن المتكلم لتحديد العلاقة بين شيئين ثم بعد ذلك أي في المرحلة الذهنية اللاحقة، يتم تحديد الألفاظ المناسبة، للإسناد المطلوب، فيتحدد الفعل (أفلح) من بين عدد كبير من الأفعال المخزونة في الذهن وكذلك تتحدد كلمة (المؤمن) من بين عدد كبير في الأسماء الموجودة في الذهن فيخرج الإسناد بهاتين الكلمتين المحددتين المختارتين. وهذا يعني أن التفكير بالإسناد كان أولا ثم تلاه التفكير بتعيين الكلمات واختيارها.

ولو تحسسنا جملة أخرى أكثر تعقيدا وفكرنا بطريقة نظمها مثل جملة (يعبد الإنسان العاقل خالق الكون) لوجدنا أن هذه الجملة قد صدرت عن معان ذهنية متعددة أنجزها الذهن، وانطلقت منه وهي المسماة بـــ (معاني النحو) وهي الأصل في بناء الجملة وكانت المعاني الذهنية[20] أي (معاني النحو) التي أنجزت هذه الجملة هي:

- **الإسناد**: الذي حدد العلاقة بين (يعبد) و (الإنسان العاقل) وربطهما ببعضهمـــا.
- **الإتباع**: الذي حدد العلاقة بين (الإنسان) و (العاقل) وربطهمـــا ببعضهـــــما.
- **التخصيص**: الذي حدد العلاقة بين (يعبد) و (خالق الكون) وربطهما ببعضهما.
- **الإضافة**: التي حددت العلاقة بين (خالق) و(الكون) وربطتهـــما ببعضهمـــــا.

فهذه الجملة لم تقتصر على الإسناد، أي لم تقتصر على معنى ذهني (نحوي) واحد في التعبير عن الفكرة وإنما أنجزتها معان ذهنية متعددة، وقد حددت هذه المعاني الذهنية العلاقات بين الكلم، وربطت بعضها ببعض، وهذه المعاني الذهنية هي (معاني النحو)[21] التي ألح عليها الجرجاني في نظريته المشهورة بـــ: (نظرية النظم).

1- أفلح المؤمن

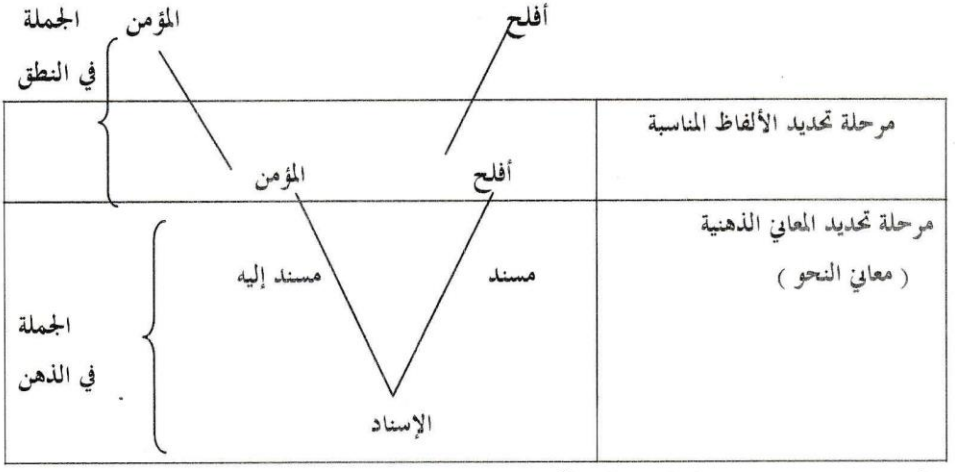

1- يعبد الإنسان العاقل خالق الكون

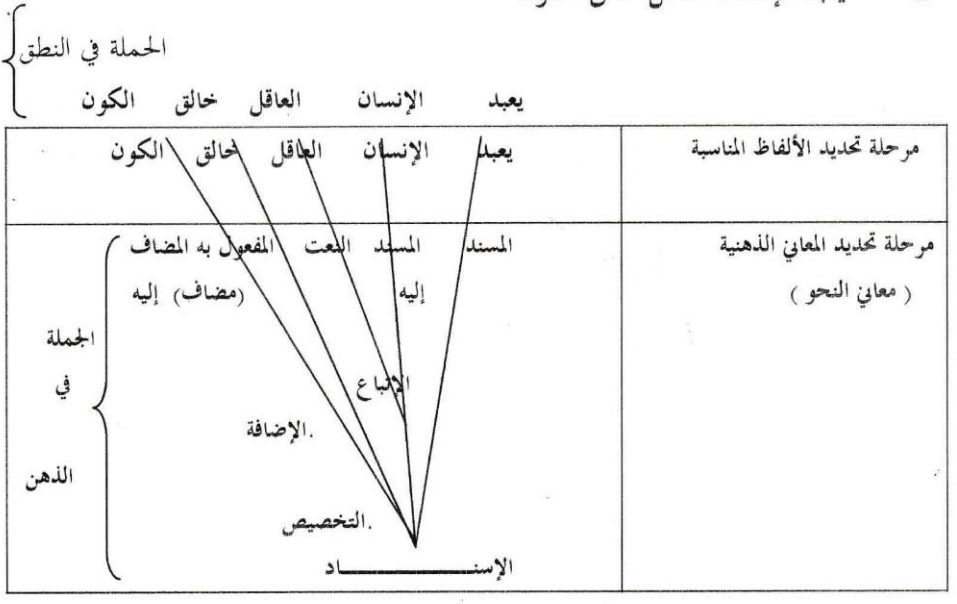

النوع الثاني: الجمل[22] التي تمر في ذهن المتكلم بثلاث مراحل عند نضمها وهي الجمل التي تتميز بأسلوب خاص كالجمل المنفية أو الجمل الاستفهامية...

المرحلة الأولى: وهي مرحلة تحديد المفهوم العام، أي المعنى العام الذي يحدد جو الفكرة فتشير إلى ذلك الجو الأداة التي تتصدر الجملة كأداة النفي أو الاستفهام أو الشرط أو غيرها، فيتحدد بذلك أسلوب الجملة.

المرحلة الثانية: مرحلة حصر المفهوم العام أي المعنى العام بشيء وتعليقه أو تسليطه عن شيء كحصر النفي مثلا بالإسناد أو بمعنى آخر من معاني النحو وتعليقه به وتسليطه في الوقت ذاته على الطرف المجاور للأداة، فمجاورة كلمة معينة للأداة يعني تسليط المعنى العام عليها، على وجه الخصوص، وأنها هي التي يفكر المتكلم بنفيها عنها بصورة خاصة.

وينبغي أن نلاحظ أن هذه المرحلة هي المرحلة المشتركة في الدراسة النحوية بين النوعين من الجمل، فالنظم في أية جملة إما أن يبدأ منها أو يمر بها.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة حصر الأشياء بمدلولاتها، ونعني بذلك تحديد الألفاظ المختارة المناسبة للفكرة.

وهذه المراحل الثلاث تنتج عنها أنواع من الجمل تشترك في كونها جمل تعبر عن المعاني العامة، وتختلف فيما بينها بما يتميز به كل معنى عام من المعاني العامة الأخرى.

ويتخذ كل معنى عام أسلوبا للتعبير عنه، وكل أسلوب تحدده الأداة التي تتصدره، مثل أداة النفي التي تميز أسلوب النفي من غيره أو أداة الاستفهام التي تميز أسلوب الاستفهام من غيره، أو أداة الشرط أو غيرها.

إن المراحل[23] الذهنية السابقة هي ومضات في الذهن، وعمليات ذهنية غير ملاحظة من قبل المتكلم، وما يمكن أن يلاحظه المتكلم، النظم وتسلسله لأنه صورة لما يتسلسل في الفكر.

ولتوضيح النوع الثاني من الجمل، أي الجمل التي يهيمن عليها معنى عام يسيطر على الفكرة بأكملها، منذ نشوئها، فتتصدر هذا النوع من الجمل الأدوات، لتعبر عن جو الفكرة، نأخذ مثلا جملة: **هل ساعد محمد الفقير؟**

نحس **أولا** أن هناك جوا عاما معينا يسيطر على الفكرة منذ نشوئها وهو جو الاستفهام، وجاءت أداة الاستفهام (هل) لتعبر عن هذا الجو العام أي المعنى العام الذي يكتنف الفكرة ويهيمن عليها، يلي ذلك تحديد الاستفهام في كونه استفهاما أي طلب الفهم[24] عن شيء وهذا الشيء هو الإسناد المعبر عنه بالمساعدة المسندة إلى محمد، ثم تعلق بالإسناد معنى ذهني آخر، هو (التخصيص) المعبر عنه بـــ (الفقير) فصار الاستفهام بـــ (هل) عن المساعدة المسندة إلى محمد والمختصة بـــ (الفقير).

ومما تجدر ملاحظته أن الكلمة التي تجاور الأداة هي التي يتسلط عليها معنى الأداة أي المعنى العام، فالاستفهام في الجملة السابقة متسلط على الفعل (ساعد) الذي يدل على الفاعل ببنائه، ولو كانت الجملة (أمحمد ساعد الفقير؟) لكان الاستفهام متسلط على (محمد) ولكان الفعل متحققا، لذلك يصح أن نقول:

(أمحمد ساعد الفقير أم علي؟) لأن مساعدة الفقير متحققة والسؤال عن فاعلها أمحمد أم علي؟

ولا يصح أن نقول: أساعد محمد الفقير أم علي؟

إن هذا التوضيح لعلاقة الجملة بفكر المتكلم، والمراحل التي تمر بها الجملة في الذهن أثناء النطق بها لا يعني أن هناك حدا زمنيا ملاحظا يفصل بين الفكرة والتركيب المعبر عنها، فما إن ينشأ الاستفهام حتى تعبر عنه الأداة (هل) وما إن تتحدد العلاقات بين الأشياء حتى تظهر في النطق الكلمات المعبرة عنها متعلقة ببعضها وهكذا فإن كل معنى ذهني يقترن بالكلمات التي تعبر عنه، والتعبير عن الفكرة يتم تقريبا في وقت التفكير بها نفسه. ولربما يكون الجرجاني قد قصد هذا بقوله "وأعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض في بعض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول وأن يحتاج في الجمل إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ها هنا في حال ما يضع بيساره هناك نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعها بعد الأولين"[25]

يتضح مما سبق أن (معاني النحو) مرتبطة بالفكر، لأنها المعاني الذهنية التي ينجز كل معنى منها بومضة من ومضات دماغ الإنسان ولأنها تنشأ في الفكر أولا ثم يعبر عنها بطريقة معينة في النظم وكان الجرجاني قد ذكر دور الفكر في النظم حين قال "ومعلوم أن الفكر من

الإنسان يكون في أن يخبر عن شيء بشيء أو يصف شيئا بشيء، أو يضيف شيئا إلى شيء، أو يشرك شيئا في حكم شيء، أو يخرج شيئا من وجود شيء وعلى هذا السبيل، وهذا كله فكر في أمور معلومة معقولة زائدة على اللفظ"[26]

ولربما نجد تلميحا إلى المراحل التي تمر بها الجملة في الذهن عند نظمها في قوله: "وإلا فإنك إذ فكرت في الفعلين أو الاسمين تريد أن تخبر بأحدهما عن الشيء أيهما أولى أن تخبر به عنه، وأشبه بغرضك مثل أن تنظر أيهما أمدح وأذم وفكرت في الشيئين تريد أن تشبه الشيء بأحدهما أيهما أشبه به، كنت قد فكرت في معاني أنفس الكلم"[27]

فهذا النص -كما يبدوا لنا-تلميح إلى مرحلة اختيار الألفاظ المناسبة ونجد تلميحا إلى أن المرحلة المذكورة إنما هي عقب مرحلة (معاني النحو) حين يقول: "إلا أن فكرك ذلك لم يكن إلا من بعد إن توخيت فيها من معاني النحو وهو أن أردت جعل الاسم الذي فكرت فيه خبرا عن شيء أردت فيه مدحا أو ذما أو تشبيها أو غير ذلك من الأغراض و لم تجئ إلى فعل أو اسم ففكرت فيه فردا ومن غير أن كان لك قصد أن تجعله خبرا أو غير خبر فاعرف ذلك".

وقال أيضا: "وليت شعري كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى"[28]

إن ربط دراسة نظم الجملة وتأليفها بفكر المتكلم حقيقة لابد منها خاصة بعد أن توصلت الدراسات التشريحية والدراسات الفزيولوجية لدماغ الإنسان إلى أن فيها مناطق خاصة للتكلم وربط الكلام، ولكن مهما بلغت دقة الدراسات التشريحية والفزيولوجية فإنها لن تستطيع أن تصل إلى تحديد دقيق للعمليات الذهنية التي تنجز في ذهن المتكلم لغرض ربط الكلام ولا تستطيع أن تضع مسميات لتلك العمليات الرابطة للكلام لأن هذا الأمر لا يتمكن منه إلا عالم اللغة الذي يتوصل إلى تحديد العمليات الذهنية المنجزة للكلام فيضع لها المسميات بالإسناد إلى وظائفها اللغوية[29]

وفيما يأتي رسم تخطيطي للجملة التي تمر في ذهن المتكلم بثلاث مراحل عند نظمها.

- هل تدبر الإنسان القرآن؟

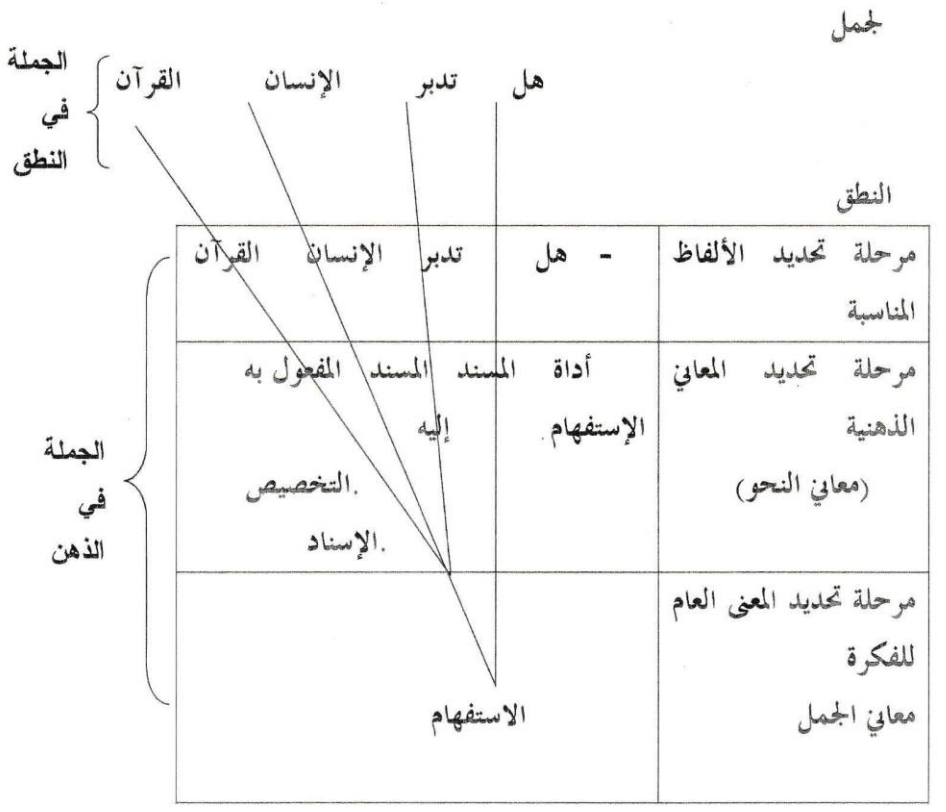

وفي ضوء ما ذكرنا فإن نظم الجملة التي يراد منها التفاهم ينبغي أن يتوفر له بعد نشوء الفكرة ما يأتي:

1- المعاني الذهنية أي (معاني النحو) التي تحدد العلاقات بين الأشياء.

2- ما تتطلبه المعاني الذهنية من استخدام صحيح لأقسام الكلم المستعملة في اللغة وبهذا يتحقق نظام تأليف الجملة في الكلام الذي غرضه التفاهم.

وعند حصر المعاني الذهنية (معاني النحو) التي تحدد العلاقات بين الكلم وتربط بعضها ببعض في كل الجمل، أيا كانت نجدها لا تزيد على أربعة وهي:

1- الإسناد **2- التخصيص**

3-الإتباع **4- الإضـــافة**

إن معاني النحو المذكورة تمثل حالة (الصفر) في الكلام بعد نشوء الفكرة وكما أن الصفر هو نقطة انطلاق الأعداد كذلك هذه المعاني الذهنية هي نقطة انطلاق الجمل كافة.

وينبغي التنبه إلى أن الفكرة التي يريد المتكلم التعبير عنها إنما تنشأ كاملة في الذهن ويقوم الذهن بإنجازها معتمدا على العملية الذهنية الرئيسية (الإسناد) وما قد يتعلق بالإسناد ويرتبط به من عمليات ذهنية (معان نحوية) لغرض إتمام التعبير عن الفكرة التي ينتهي التعبير عنها في نهاية الجملة. إن نشوء الفكرة كاملة في ذهن المتكلم قبل البدء ببنائها وربط أجزائها يتفق مع ما ذهبت إليه المدارس السيكولوجية الحديثة حيث تؤكد على "دراسة الخبرة النفسية ككل وإذا كان لابد من درس الأجزاء فيجب أن يتم ذلك من حيث علاقتها بالكل لا من حيث علاقتها بالبعض"[30]. ويرى علم النفس الحديث "أن علينا أن ندرك –لكي نفهم الخبرات العقلية– أن لكل من هذه الخبرات نوعا من (الكلية) تنظمها منذ اللحظة التي يواجه الإنسان حالة ما حتى اللحظة التي يستجيب فيها لتلك الحالة"[31]

ويبدو أن الجرجاني قد سبق علماء النفس المحدثين في بعض ما توصلوا إليه بخصوص الخبرات العقلية ويتضح ذلك من قوله: "إنا نعلم أن الجملة أبدا أسبق إلى النفوس من التفصيل وإنك تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلى التفصيل ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر"[32].

وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس، وإذا كان كذلك فبنا[33] أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله، وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفة أو حالا أو تمييزا أو أن تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر فتجئ بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى أو بعد اسم من الأسماء التي

ضمنت معنى ذلك الحرف وعلى هذا القياس"[34]. الكلام وسيلة الإنسان للتعبير عن أفكاره وإيصالها للآخرين ويلاحظ عند تحليل الكلام في أية لغة أن يحتوي على مجموعات، كل مجموعة منها تؤدي معنى وتعبر عن فكرة تامة بـــ(الجملة)، وتبنى الجملة في الغالب على الإسناد أي على المسند والمسند إليه مما دعانا إلى القول بأن الإسناد هو الأساس في بناء الجملة ويمكن أن نعد هذه المجموعات الكلامية المسماة بالجمل الأجزاء الأساسية في الكلام.

"فبالجمل يتبادل المتكلمان الحديث بينهما وبالجمل حصلنا لغتنا، وبالجمل نتكلم، وبالجمل نفكر أيضا"[35]. وقد دعت الحاجة أن ينوع المتكلم الجمل تبعا لتنوع دواعي الكلام، ولذلك كان لكل داع أسلوب معين يعبر عنه تتعارف عليه الجماعة الناطقة باللغة فللإثبات أسلوب وللنفي أسلوب آخر، وللطلب أسلوب ثالث مغاير لهما وللشرط أسلوب يختلف عن الأساليب السابقة، وتغطي هذه الأساليب حاجة المتكلم للتعبير عن أية فكرة يريد إيصالها للآخرين، والجمل في اللغة تتباين في أساليبها ولكنها تشترك في المعاني الذهنية المتكونة منها، أي أنها تشترك في معاني النحو السابقة الذكر. وبهذا تخرج معاني النحو عند عبد القاهر من مظهرها الجاف القاصر على الجوانب الإعرابية فقط إلى ما هو أسمى من ذلك بكثير حين تعتمد على الذوق الرفيع والحس المرهف وتصبح من وسائل التصوير والصياغة ومن المقاييس التي يهتدي بها في البراعة[36].

ولم يكن الجرجاني ليتحدث عن نظريته في الإعجاز هذه دون تعليل لها أو تدليل عليها بل كان يدعم دائما فكرته بما يستعرضه من مختلف النصوص الأدبية والقرآنية.. وليس هذا فحسب بل كان يتفرس الأساليب ويتأمل بذوقه وحيها، ثم يأخذ في التسجيل والتعليل لما توصل إليه من نتائج هذا التأمل حيثما رأى الجمال يهزه ويطربه.. وكان كالمتجول في روض نضيريستوقفه الورد الشذي والزهر الناظر، يمتع نفسه وناظريه بما لها من تنسيق بديع.. وتكاد تكون كل إستشهاداته وخاصة في دلائل "الإعجاز" تأكيدا وتدعيما لما ذهب إليه من فكرة النظم... واضعا في اعتباره أن هدفه الأسمى هو الوصول إلى حقيقة الإعجاز في القرآن الكريم.

الهوامـــش

1- دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ص 293. تعليق محمد التنجي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1420هـ-1999م.

2- المصدر نفسه، ص 78

3- المعان: المتزل

4- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص .382

5- المصدر نفسه، ص.13

6- المصدر نفسه، ص.59

7- المصدر نفسه، ص82

8- قواعد النحو العربي، في ضوء نظرية النظم، سناء حميد البياتي، ص 15، ط01، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2003م.

9- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص .300

10- في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ص37، ط1، بيروت، لبنان، 1963م.

11- الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، جعفر دك الباب، ص 74، ط01، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، 1400هـ- 1980م.

12- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص78.

13- المصدر نفسه، ص305.

14- جدل اللفظ والمعنى، دراسة في دلالة الكلمة العربية، مهدي أسعد عرار، ص19، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2002.

15- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 56.

16- المصدر نفسه، ص .385

17- المصدر نفســـه، ص .16

18- الموجز في شرح دلائل الإعجاز، في علم المعاني، جعفر دك الباب، ص.77

19- الكتاب سيبويه، ج01، ص 23. تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة دار العلم، 1385هـ، 1966م.

20- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، ص 49، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ، 2002م.

21- معاني النحو: مواقع وإعراب الكلمات في الجملة.

22- نظام الجملة العربية، سناء حميد البياتي، ص 12-13، رسالة ماجستير من جامعة بغداد، كلية الآداب، 1983م.

23- قواعد النحو في ضوء نظرية النظم، سناء حميد البياتي، ص 19-.20

24- الحدود في النحو (رسائل في النحو واللغة) لابن فارس والرماني، ص 42، تحقيق مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني، بغداد، 1967م.

25- دلائل الإعجاز عبد القادر الجرحاني ص .78

26- المصدر نفسه ص .307

27- المصدر نفسه ص .304

28- المصدر نفسه، ص 305.

29- قواعد النحو في ضوء نظرية النظم، سناء حميد البياتي، ص22

30-علم النفس الحديث: سارجنت ص 40 تعريب منير البعلبكي دار العلم للملايين1979م.

31-المرجع نفسه ص.41

32-أسرار البلاغة: عبد القادر الجرجاني ص 137، تصحيح وتعليق الشيخ محمد عبده دار المعرفة بيروت، لبنان.

33-يريد فجدير بنا.

34- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 59-.60

35-اللغة فندريس ص 101 تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد الفصاص مكتبة الأنجلو المصرية.

36-النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن صلاح الدين محمد عبد التواب ج1 ص 146 ط1 دار الكتاب الحديث القاهرة 1423ه-2003م.